

التحذير من المكاسب المحرمة

بعد ذلك نذكر الأمثلة من المكاسب المحرمة مع أنها -والحمد لله- ظاهرة جلية ولكن من باب التحذير، فقبل ذلك تذكرون حديث النعمان بن بشير أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات: استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ثم قال: ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه } . قسم المكاسب إلى ثلاثة أقسام: حرام بين واضح، وحلال بين واضح يعرفه كل أحد، والقسم الثالث المشتبه الذي فيه شبهة لا يعرفه كثير من الناس يقع فيه وهو مشتبه عليه هل هو من هذا أو من هذا فما هي الحيلة؟ الحيلة البعد أن تبعد عن الشيء الذي فيه شبهة ففي الحلال غنية عن الحرام، فالحلال البين هو مثل ما ذكر في الحديث: { أطيب ما أكل الرجل من كسب يده } من كد يده، وفي الحديث: { أطوا الأجر أجره قبل أن يخف عرفه } فالذي يعمل بأجرة يعمل عند إنسان محسوبة محددة، ثم مع ذلك يخلص في عمله ويخلص فيما أوّتمن عليه ويؤدى عمله كما ينبغي ثم يقتصر على أخذ أجرته التي هي كد يمينه وعرق جبينه وينغدي بها وينغدي بها من تحته هذا رزقه حلال؛ لأنه كد اليد سواء كان عمله في بناء مثلا أو في حفر، أو في غرس أو في سقي أرض، أو في أعمال بدوية كخياطة مثلا أو حدادة، أو نساجة أو حياكة. كذلك أيضا عمله في التجارة ولكن يتجنب ما فيه شبهة إذا اتجر وأراد أن يكون كسبه حلالا فإن عليه أن يقتصر على النسيئة، فينصح للمسلمين الذين يتعاملون معه فلا يغش في المعاملات؛ فيكون كسبه حراما، فقد ثبت أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: { من غش فليس مني } ويدخل في الغش ما ورد في سبب الحديث وهو إخفاء الطعام الردي وإظهار الطعام الجيد؛ يكون ذلك من الغش فالذين يغشون يأكلون كسبا حراما أي نوع من أنواع الغش. وكذلك أيضا التديليس والتدليس هو أن يظهر السلعة بمظهر حسن ويخفي ما فيها من العيوب، وقد يكون ذلك أيضا من الغش فإنه يعتبر كسبا حراما، وهكذا أيضا الظلم الزائد وهو أن يزيد في السلعة في ثمنها على من كان غرا جالها لا يدرى ما ثمن السلعة فيخدهه ويأخذ منه ما لا يحل له، وقد مثل في ذلك بأمثلة كثيرة منها: نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن نصرة الدواب التي فيها خلل فإن ذلك من الغش، وهو إيهام أنها ذات لبن كثير فذلك من الغش، وكذلك أيضا تلقي الركبان قبل أن يقدموا والبيع عليهم أو البشراء منهم، فالغالب أن ذلك أيضا من الخداع وأنه من الغش. وكذلك أيضا إظهار السلعة بمظهر حسن إذا أراد أن يبيع سيارة مثلا أو يبيع طعاما أخفى ما فيه من العيوب حتى يوهم الناس أنه طيب، وأنه لا بأس به فينخدعون به ويطنون أنه كله طيب فيشترون منه بثمن رقيق، فيكون بذلك قد خدعهم وغشهم، ولا شك أن ذلك من الكسب الحرام أو الذي هو شبيه بالحرام، وقد حرم النبي -صلى الله عليه وسلم- كل ما فيه غرر أو كل ما فيه ضرر. والأمثلة عليه كثيرة فمن ذلك: تحريمه بيع الغرر الذي لا يكون الثمن فيه واضحا ينخدع به من يراه، ويعتقد أنه طيب وهو ليس بطيب يسمى بيع الغرر مثل بيع الملابس والمناشف وحيل السمك في الماء وبيع الطير في الهواء وبيع العبد وهو أبق، وبيع الجمل وهو شارر، وبيع المعصوب من غير غاصبه، وشرح ذلك بطول، ولكنها أمثلة مشهورة في الأحاديث فكل ذلك حث للمسلم على أن ينصح لإخوته المسلمين، وأن يتبعد عن الكسب الذي فيه شبهة. وكذلك أيضا المعاملات المحرمة التي ورد الإثم في تحريمها، وأشدها المعاملات الربوية التي ورد الوعيد فيها وعيد مؤعده مثل قول الله تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقْوَمُ الَّذِي يَخْتَضِعُ الشَّيْطَانَ مِنَ الْقَسْرِ ذَلِكَ أَمْثَلُ النَّبِيِّ وَالرَّبَا وَأَخْلَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَحَرَّمَ الرِّبَا قَمْرٌ جَاءَهُ مَوْعِدُهُ مِنْ رَبِّهِ فَأَتْنَاهُ قَلْبَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } هكذا توعد الله أكلة الربا. ورد في بعض الآثار أن أهل الربا يقوم يوم القيامة كالمجنون يأتيهم ويقوم بسقطه، ويعرف أكلة الربا بكبر بطونهم أن يبلون أحدهم كثيرا لا يستطيع أن يمشي كلما مشى أو خلوته سقطة على وجهه هذا معنى قوله: { لا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقْوَمُ الَّذِي يَخْتَضِعُ الشَّيْطَانَ مِنَ الْقَسْرِ } توعدهم الله تعالى بهذا الوعيد: { وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ } الذين يصرون على ذلك، ويستحلون ما حرم الله، ويتمادون في أكله لا شك أن هذا دليل على تساهلهم فيما حرم الله تعالى عليهم، ورد الوعيد الشديد فيه في قوله -صلى الله عليه وسلم- { اجتنبوا السبع الموفيات قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات } ففعل منها أكل الربا؛ لأن الله توعد عليه، والأدلة على تحريم الربا كثيرة ومشهورة. وأهم ما يجب على الإنسان أن يحصر على طيب كسبه، فيجتنب الحرام الذي تحريمه واضح، ويجتنب المشتبه الذي فيه شبهة، ولا شك أن مما يقع فيه الكثير من الناس الإخلال بالأعمال التي يتفاضل عليها أجرة فإن ذلك كثير في كثير من الناس. أنت مثلا إذا استؤجرت إذا كنت أجيروا على عملك سواء كنت عاملا للدولة، أو كنت عاملا في شركة، أو كنت عاملا في مؤسسة، أو كنت عاملا عند فرد من الأفراد فإذا اخلت بشيء من هذا العمل فالذي تتقاضاه من هذه الأجرة يعتبر مشتبهًا، أو يعتبر أيضا حراما؛ حيث إنك أخذت ما لا يحل لك. فالذي ينصح في عمله ويؤديه كما ينبغي ويراقبه ربه يعلم أن ربه تعالى هو الذي يراه وهو الذي يخاسبه فهذا هو الذي يحل له ما يتقاضاه وما يكسبه من هذه المكاسب، فأما إذا كان لا يخاف الله تعالى، وإنما يعمل ويخلص إذا كان الناس ينظرون إليه فإذا اخلت وتكاسل، أو لا يعمل لصالح المسلمين، وإنما يعمل لصالح نفسه وينظر مصلحة نفسه يخاف عليه -والحال هذه- أن يكون كسبه غير مباح له، فالذي يروج أن يكون طعامه حلالا وكسبه حلالا عليه أن يراقب الله تعالى. وهكذا أيضا معروف أن هناك مكاسب محرمة لا شك في تحريمها فمن ذلك: السرقة لا شك أنها محرمة وهي أخذ المال من غير حرة على وجه الخفية، ومن ذلك: العصب عصب الناس أموالهم أخذها فقها بغير حق، فإنه من الكسب الحرام. ومن ذلك: جحد الديون وجد الأمانات الذي إذا كان عنده دين أو عنده مال لإنسان كوديعة أنكره وجده ولم يعطه صاحبه، وهو يعلم أنه صادق فيما يدعيه. لا شك أن هذا أكل للمال الحرام ولو لم يأكل منه لو لم يجعله في طعام لكنه أدخله ماله أدخله في ماله، وإذا أدخله فإنه لا بد أن يخاسب عليه كما يقول بعض السلف في المكاسب: حرامها عذاب وحلالها حساب، ويقول بعضهم في الزجر عن هذه المكاسب المحرمة: سبأخذه الوارث من غير تعب ويسأل صاحبه من أين اكتسب؟ ما اكتسب إلا الشوك إلا الشوك فالذي يجمع المال من حل من حرام، ثم يخلفه بعده لا بد أنه يخاسب عليه وعن مخرجه كما ورد في الحديث أنه: { لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن علمه ماذا عمل به } فيسأل من المال من أين دخل عليك هذا المال؟ من أي كسب اكتسبته؟ ثم يسأل بعد ذلك في أي شيء أنفقت هذا المال فإذا أنفق في حرام فإنه يخاسب، إذا أنفق في أولياء القبور، إذا أنفق في آلات لهو، إذا أنفق في الأغاني أو ما أشبه ذلك، وهكذا أيضا إذا كان كسبه ثمن خمر أو ميسرا وهو القمار الذي يأخذه أهل اللعب أو ما أشبه ذلك فإنه لا بد أن يخاسب على ذلك. فعلى كل حال علينا أن نحصر كل الحرص على أن يكون كسبنا من الكسب الذي أباحه الله تعالى حتى يثيبنا الله وحتى يستجيب دعوتنا وحتى يرحمنا ويزيل الشدائد عنا ويحرم إخواننا المسلمين ويستجيب دعاءهم. تكفي بذلك، ونسأل الله تعالى أن يغنينا بحلاله عن حرامه ويفضله عما سواه، ونسأله سبحانه أن يصيرنا يعوب أنفسنا، ويدلنا على ما نبتغى، ويصرفنا عما يضرنا، ويهدينا سواء السبيل، كما نسأله أن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويصلح أئمة المسلمين وقاتمهم ثم على كل شيء قدير، والله أعلم، وصلى الله وسلم على محمد . الأسئلة: السؤال الأول سؤال يتعلق بالدعوة كان النبي -صلى الله عليه وسلم- كثيرا ما كان يقرأ بسورة "ق" في يوم الجمعة، والسؤال: هل كان -صلى الله عليه وسلم- يقرأ في خطبته قراءة مرتلة أم أنه كان يقرأها قراءة غير مرتلة وكذلك بالنسبة للدروس والمحاضرات... فما هو المقصود . وفقكم الله؟ صحيح أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ سورة "ق" في الخطبة ولكن لم يكن يقتصر عليها، بل يجعلها من جملة ما يقرأه فقيرا آيات ويشرحها أو يتكلم عن مواضيع ذات أهمية ويسبب دلالتها ويحذر الأمة عن المحرمات، ولا شك أن قراءته قراءة مرتلة ولكنه أيضا يرتل كلامه، فكل كلامه ترتيل سواء ما تكلم به من نفسه أو ما قرأه من كلام الله تعالى بمعنى أنه لا يسرع ويصدره سررا بسريعا؛ بحيث لا يفهم عنه بل يخرج الحروف من مخارجها ويبينها ويأصحا يفهمها من يسمعه، فأما ما نسمع من بعض الوعاظ أو من بعض الخطباء ونحوهم إذا مر بآية غير أسلوبها فقرأها قراءة مرتلة مجودة بينما الكلام الذي قيلها والذي بعدها يسرده بسرعة فأرى أن هذا خلاف ما جاءت به السنة. س: سائل آخر يقول: نحن في منطقة عدن في مجمع فهل يجوز لنا أن نصلي في تلك المصليات؟ يجوز مع المشقة إذا كانت تلك المصليات يؤذن فيها كل وقت أو أغلب الأوقات وكان هناك مشقة للذين دورهم بعيدة يعني كيلو أو أكثر من نصف كيلو فقد يكون عليهم مشقة فلا يجد أحدهم سيارة يذهب عليها وليس عندهم من يركب معه، ففي هذه الحال لهم أن يجتمعوا في بعض المصليات، ويصلون فيها للعدز ولا يصلون في بيوتهم. س: فضيلة الشيخ:.....؟ كثر السؤال عن مثل هذا وتدعي هذه الشركات أن هناك أناسا يشتركون بالتقسيم ثم لا يوفون بذلك، بل يتأخر عليهم قبسط وأكثر فاتحاجا إلى هذه العملية، ولكن الفتوى أنه لا يجوز وأنه بيع غير صحيح إلا أنه غير مجزم بأحد العقدين، وإما لأنه بيعتان فيبيعة، وإما لما يترتب عليه من الضرر فنقول: إذا أردت أن تشتري سيارة أو دارا فإنك تشتريها شراء صحيحا ليس إيجارا وتجعلها رهنا لأهلها، وتكون رهنا على بقية الثمن، فإذا حلت الأقساط فإنهم يبيعونها ويأخذون بقية أقساطهم ويعطونك بقية الثمن. هذه هي الحيلة التي يسلمون بها من هذه الصياغة المشتهية. س:؟ إذا كان مجرد تحويل فلا بأس بذلك للحاجة فانت مثلا بحاجة إلى أن تحول نقودك إلى بلاد أخرى كتحارج المملكة أن تحولها إلى مصر أو إلى سوريا أو إلى اليمن أو ما أشبه ذلك، ولا تستطيع أن تحملها في الطريق؛ خوفا على نفسك ففي هذه الحال إذا لم تجد مصارف إسلامية فإنك تحول بواسطة هذه البنوك، والحيلة في ذلك أو السلامة أن تدفعه لهم نقودا وتأخذ منها ما فيكثرون أو عندنا لك خمسة آلاف ريال سعودي بهذا السند فإذا وصلت إلى قريتهم إلى اليمن مثلا أو الذي في البحرين أو الذي في مصر فإنك تقول: أعطوني خمسة آلاف ريال سعودي يقولون: ليس عندنا، ولكن تصرفوا لك بما تساويه الآن بصرفقونها لك بسعر يومها بالدولار أو بالجنيه المصري أو الدينار الكويتي أو ما أشبه ذلك. وهناك أيضا حيلة أخرى -وهي أفضل- وهي أن تصرفها بالجنيه المصري وتقبض الجنيه، ثم بعد ذلك ترده عليهم وتقول: حولوه لي إلى مصر أو إلى السودان مثلا فهم في هذه الحال يحولونه ولكن يأخذون عليه أجرة بدل ما يكون خمسة آلاف جنيه مصري مثلا يسلمونك هناك خمسة آلاف إلا عشرة أو إلا عشرين مقابل تعبه. س: من الحكم ما دفع مبلغ معين لشخص ما؟ يجوز في حالة أن يقول مثلا: قرصك قد بدأ وقد خرج اسمك وأنا سوف أتأخر بتأخر وأنا محتاج إلى البناء الآن وأنت لست بمحتاج فاعطني قرصك وأعطيك قرصني إذا خرج ويكون قرصا بقرص ليس فيه زيادة فهذا جائز تستلم قرصه بوكالة منه وتعلم به، ثم بعدما يخرج اسمك تولكه على أن يستلم قرصك باسمك ويعمر به. هذا لا بأس به، وأما البيع فلا يجوز إنما الذي يجوز بيع الأرض فإذا كان لك أرض قد قدمت على البنك بعمرتها من قبل البنك فيجوز لك أن تبيع الأرض ولا تبيع القرض، وإن استغيت عن القرض فإنك توكل من يعمر الأرض بهذا القرض، وبعدها تتم عمارته تبيع العماره وتوكل المشتري يستقبل سداد ذلك القرض بما تيسر. س:؟ لا شك أن الغش في الامتحانات محرم سواء حصل على شهادة أم لا، وسواء حصل على وظيفة أم لا، ولكن هذا أمر قد مضى وقد حصل على هذه الشهادة وإذا قدر مثلا أنه حصل على وظيفة فنقول له: عليك بالإخلاص في وظيفتك عليك بأداء العمل فيها حقا، وإياك أن تخل بشيء من عملك فإنك إذا أتممت العمل كما ينبغي فإن ما تأخذه من الراتب مباح؛ لأنه مقابل العمل لا مقابل المؤهل. س:؟ نعم قد قال الله تعالى: { وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } فالذين مثلا يبيعون الآلات المحرمة كسبهم محرم الذي يبيع الخمر أو يبيع الحبوب التي هي المخدرات أو مثلا يبيع آلات الملاهي أجهزة الغناء وأشرطة الأغاني أو أشرطة الأقلام الخبيثة الخليعة أو أجهزة الاستقبال التي هي مستقبلات القنوات الفضائية والتي تعرف بالدشوش وما أشبهها لا شك أن كسبهم محرم؛ وذلك لأنه يعين على المعصية؛ فلذلك لا يجوز لك أن تؤجر على أحدهم كل من يعمل عملا محرما لا يجوز تمكينه. كذلك مثلا إذا أقرت دكانا على حلال فاشترط عليه أن لا يخلق الحلي فإذا مكنته من ذلك فقد أعنته على كسب حرام صرت متساعدا معه على المحرم، وهكذا أيضا إذا كان عندك خياط فاشترط عليه ألا يشق الثياب المسيلة التي يلبسها أناس يسلمون لباسهم، وهكذا إذا أقرت دكانا فاشترط عليه ألا يبيع الدخان أو الآلات المحرمة إذا باعها فإنك تكون شركا له في هذا الإثم، ويكون في كسب شيء من الشبهة يجتنب المسلم الشبهات حتى يسلم على دينه وعرضه. س: رجل سرق مالا كثيرا وقد تاب إلى الله توبة صادقة . وندم على فعله وهو الآن يعزم على إعادة المال المسروق.....؟ لا شك أن السرقة ذنب كبير وأنه سحت وحرام وإذا تاب فالتوبة بينه وبين الله تعالى الندم والأسف، ولكن سبب حق الأدميين التي أخذها بغير حق سرقة أو نهبها أو اختلاسها أو جحد ديون أو ما أشبه ذلك لتؤد الحقوق يوم القيامة حتى يقص للشاة الجلاء من الشاة القرناء، فلا بد أن تؤدي في الآخرة فنقول له: عليك أن تستنج أولئك الذين أخذت منهم ثأني إليهم وتقول لهم: إني قد أخذت منكم كذا وكذا سرقة أو اختلاس أو جحد أو نحو ذلك، وأنا الآن فقير فاعفوا عني واسمجوا لي بما أخذت بغير حق فإذا سمحوا له سقط عنهم حق المطالبة، وإذا لم يسمحوا حرص على أن يرد إليهم ما استطاع، وإذا خاف إذا رفع الأمر إليهم من الشكايه ومن الحسب ونحو ذلك حرص على أن يدخله إليهم بأي وسيلة يحرص على الكسب الحلال، ويبدل ما يستطيعه بالكسب حتى يجمع ما لا يقابل ذلك المسروق ويرسله إلى أهله ولو بغير مباشرة. س:؟ معذور إذا كان بسبب طلب المعيشة ولكن عليه أن يستسبح من أهله من زوجته ونحوها وعليه أن يرسل لهم نفقة تكفيهم مدة غيبته. س: السؤال الأخير: السؤال يا فضيلة الشيخ؟ واجبهم الإنكار، ولكن حيث إنها عادات متحكمة فقد لا يستطيعون الإنكار الكلي، فعليه أن ينكرها بقدر ما يستطيعون، فليكن أن تنصح من يحضر ذلك وتقول له: لا تحضر إلا إذا كنت تغير، لا تحضر إلا إذا كنت سوف تنكر عليهم، وعليك أن تنصح من يقوم على ذلك وهذا يتولى هذه الأشياء، وتبين لهم ما فيها من الإثم. المعروف أن حفلات الزواج ينتشر فيها ضرب الدف على وجه الإعلان؛ لقوله في الحديث: { ألعنوا النكاح واضربوا عليه بالدف } وهذا الدف إنما لأجل الفرح أي أنه لفرح هذا الاحتفال وبهذا الزواج، وإما على وجه الإعلان ففيها أن يعلن حتى لا يكون سرا. كذلك أيضا لا بأس أن يكون معه شيء من الصور المباح يعني الغناء أو شعر مباح ليس فيه تشبيب ولا فيه طول ولا فيه وصف خدود وقدمي ولا فيه نغج وتمثيل ولا فيه شيء من التأثير الذي يطرب سامعه وبيعت الهمم إلى المحرمات إنما هو شعر فيه مديح أو فيه ترحيب وتحية مما ورد في الحديث: { هلا أرسلتم من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيونا تحييكم } . فهذا هو الجائر، فأما هذا السهر الطويل وكذلك هذا الضرب بالدفوف الطويل أو بالطبول أو بالآلات الموسيقائية، أو ما أشبه ذلك فنهي عن حضور ذلك، ونصح من يفعل ذلك بأن ما يفعلوه يستبدلوا به ما أحل الله.